



مصطفى الخشمان*

صناعات ضرورية تقوم بها المرأة البدوية

◀◀ إذا عدنا إلى الورا، وأمعنا النظر في تراث البادية القديم، سنجد أنّ العائلة البدوية تعتمد على أفرادها في توفير مستلزماتها البسيطة التي تندرج ضمن الصناعات والحرف اليدوية، واللافت أنّ المرأة البدوية تقوم بدور مهمّ في هذا المجال، وقد رصد الباحث هنا النشاطات الحرفية التي تشارك المرأة بها.

بيت الشعْر: وهو بيت العائلة المتنقل ويصنع من شعر الماعز الذي يقصّ في فصل الربيع ويُغسل، ثم تقوم المرأة البدوية بغزله بواسطة مغزل يدوي بدائي يصنعه من الخشب، وتلفّ الخيوط حول بعضها بعضاً على شكل كرات كبيرة أو صغيرة تسمى (دُحْرَجَه).
طريقة النسيج: وتسمى النطّي (نسيج السُقّه) يجتمع عدد من نساء المضارب للتعاون في مدّ

تَعتمدُ العائلة البدوية على أفرادها في تدبير أمورها الحياتية والمعيشية وتوفير مستلزماتها البسيطة التي تنسجم مع بساطة العيش في الصحراء، وإذا عدنا إلى الورا وأمعنا النظر في تراث البادية القديم سنجد أنّ أهمّ هذه المستلزمات هي منسوجات الشعر والصوف وصناعة الجلود ويمكن تصنيف هذه المستلزمات كالتالي:

* كاتب أردني وباحث في التراث

خيوط الشَّعر ما بين أربعة أوتاد في كل جهة اثنان، ونُصِّف الخيوط متلاصقة وعلى طبقتين الواحدة فوق الأخرى بعرض نصف متر تقريباً، ويبدأ النَّسج باستخدام قرن غزال يسمَّى (مَشْقَاه)، ويُربط طرف آخر خيوط الشَّعر بعمود قصير يسمَّى (المَوْشَعُ) لوصل خيوط اللَّحمة التي تُشد إليها الخيوط الأخرى، وتوضع قطعة من الخشب على شكل مسطرة طويلة بين الطبقتين تسمى (مَشْدُ أو نير) وظيفتها شدَّ الخيوط إلى بعضها بطريقة الكبس، وبعد إكمال النسج تتكوَّن قطعة مستطيلة تسمى (شُقَّة) جمعها (إشقاق).

ويتكوَّن بيت الشعر من عدد من هذه الشقاق التي تُشدُّ إلى بعضها بواسطة خيوط الشَّعر بالإضافة إلى (الرواق) الجزء الخلفي من البيت، والذي ينسج من الشَّعر يتخلله مستطيل أو أكثر بعرض شبر ينسج من خيوط القطن الأبيض للتَّجميل، ويُشدُّ الرواق بالبيت بواسطة عدد من عيدان (الخلال) الرفيعة ليسهل فكّه وتركيبه، أمَّا الجزء الداخلي من البيت فيسمى (الساحه)؛ وهي التي تفصل (الشُّق) ديوان الرجال عن المحرم- مكان النساء، وتنسج من الشَّعر والصوف الملوَّن ويثبت في أطرافها شراشيب ملوَّنة تضيء جمالاً على المكان.

الواويَّة: هي قطعة من الخشب مربَّعة أو مستطيلة مجوّفة من الداخل ليدخل بها رأس العمود الذي يشدُّ شقاق البيت، وذلك حفاظاً على الشُقَّة وعدم تمزيقها من رأس العمود. بعد لصقها بقطعة من القماش السميك يتم

تخييطها وتثبيتها بالشُقَّة.

العَقْفَة: قطعة من الخشب معقوف طرفها ليمسك بها الحبل المُراد ربطه بالوتد أو العمود، والطرف المعقوف يساعد على جرّ أو سحب الحبل بسهولة وكذلك ربطه.

الأعمدة والحبال والأوتاد: والأعمد هي عيدان غليظة مبرومة تُقَصُّ بحسب الطول المطلوب، وهي التي يرتفع فوقها بيت الشَّعر، وتُربط بحبال مصنوعة إمَّا من الصوف أو الشَّعر أو من اللِّيف المستورد، ثم تثبت بالأوتاد وهي عيدان أو قطع حديدية بطول نصف متر تُغرس بالأرض وتُربط حولها الحبال المتصلة بالأعمدة.

البُسط: وتُنسج بالطريقة نفسها التي تُنسج بها (الشقاق)، ولكنها تُصنع من خيوط الصوف بعد صبغها بألوان مختلفة بحسب رغبة صاحبها، وتقوم المرأة البدويَّة بنسج البساط وتشكيله بواسطة الخيوط الملوَّنة بأشكال هندسيَّة أو رسومات جميلة تختارها من مناظر طبيعيَّة أو حيوانيَّة أو هندسيَّة، وتُصنع البُسط بأحجام مختلفة تناسب واستعمالاتها.

العِدْل: تُنسج العدول من خيوط الصوف لتصبح بحجم أكياس الخيش الكبيرة، وتُخاط بخيوط الصوف نفسها لتصبح كالكيس ومفتوحة من الأعلى، وتستخدم لحفظ الدقيق والحبوب وتُحمل على ظهور الدواب.

الخُرْج: الخرج صغير الحجم بالنسبة للعدل، ويُنسج من خيوط الصوف الملوَّنة، وتوضع على جوانبه شراشيب ملوَّنة للزينة، ويُربط كل خرجين مع بعضهما ليتعادلا عند حملهما على ظهور

يقوم البيطار بصناعة حذاء الفرس.
الْفَرَسُ: مفردها فرشة وتجمع فرشات، أمّا كلمة الفرش فتعني كل ما يُفرش على الأرض، ويتم تجهيز الفرشة بوضع كمية مناسبة من الصوف بعد غسله وتنظيفه في كيس مستطيل من القماش الأبيض بعد أن يُخاط من جوانبه ويُترك أحد الجوانب الطويلة مفتوحًا ليتم بواسطته إدخال الصوف وتساويته بجانب بعضه بعضًا ليكون على مستوى واحد دون علو أو هبوط، بعد ذلك تقوم المرأة البدويّة التي تتولى هذا العمل بتمرير خيط من الصوف بواسطة (المُخاط) وهو إبرة كبيرة يتّسع ثقبها للخيط الغليظ الذي يثبت الصوف في الداخل بثوب القماش الخارجي من الجانبين وعلى طول الفرشة على أن تكون المسافة بين الخيط والآخر حوالي الشبر، بعد ذلك توضع الفرشة في ثوبها المكوّن من القماش المقلّم أو الملوّن بألوان زاهية مختلفة، والفرشة تُستخدم للنوم وللجلوس عليها، وتُفرش تحتها البسط أو الحصر أو الشراشف لوقايتها من التراب.

اللحاف: يتم تجهيز اللحاف كما هي الفرشة، لكن حجم اللحاف أكبر من حجم الفرشة ليغطّي جسم الإنسان أو يتغطّى به أكثر من شخص خاصّة الأطفال، والصوف الذي يوضع داخل جسم اللحاف (القماش) يكون أقل سماكة من الصوف الذي يوضع داخل الفرشة ليكون خفيفًا نوعًا ما، ولا يُستحبّ اللحاف الثقيل بعكس الفرشة، والغطاء الخارجي للحاف يكون من قماش ملوّن ومن النوع الجيد القابل للفكّ والغسل بين الحين والآخر.



الحيوانات، والخرج يُطلق على الاثني باعتبارهما خرجًا واحدًا، ويستخدم لحفظ الملابس والحاجات الصغيرة التي يحتاجها المسافر.
رَسَنُ الْفَرَسِ وَالْجَمَلِ: يُنسج من خيوط الصوف الملوّنة ويزيّن بالشراشيب.

الميثور: وهو ما يوضع تحت شداد الجمال، ويُنسج من الصوف ويحشى بالقش لوقاية ظهر الجمال. أمّا الشداد فيصنع من الخشب ليوضع على ظهر الجمال للركوب كما هو السرج للفرس إلا أنّ السرج يقوم بصنعه صانع محترف كما

الشق والمحرم لتكون قريبة المتناول لمن يقوم بإعداد القهوة في (الثُقرة) موقد النار أمام الشق أو داخله، ويمكن تجميلها بتغطيتها من الخارج بالزخارف والخرز وشرابات الصوف الملوّن.

النسعة: وتُجمع إنسَع وتُصنع من الأمعاء الدقيقة للحيوان ويسمونها (مصارين) مفردها (مصران)، يجهّزونها ثم يجدلونها على شكل حبل طويل، وهي قويّة تتحمّل أي ثقل يحملونه على الجمل أو الدابّة، وإذا كان المصران غير مجدول يسمّى (مَسْرَد) ويستعمل كالخيط إذ يدخل طرفه في ثقب المخاط وتُخاط به الأشياء الثقيلة التي تحتاج إلى قوّة ومنعّة، وتُستخدم النسعة كحبال لشدّ العدول والأكياس على ظهور الحيوانات وكذلك لربط الأشياء الثقيلة وأحمال الحطب وغير ذلك.

القربة: كانت القربة قديمًا تُصنع من جلود الحيوانات بعد تنظيفها من الشّعْر ثم تُدبغ بمنقوع قشور جذور بعض الأشجار المعروفة

المخدّات والوسائد: تجهّز المخدّة من الصوف بعد غسله وتنظيفه، ويحشى قماش المخدّة الذي يشبه الكيس الصغير أو المتوسط المستطيل الشكل بكميّة كبيرة بحيث يمتلئ ذلك الكيس ثم يُغلق بالخيط، ثم توضع المخدّة داخل ثوبها الخارجي الذي يُفصّل من قماش سميك تُطرز عليه النساء رسومات طبيعيّة أو هندسيّة أو صور طيور، وقد يكون هذا الثوب ملوّنًا بألوان جميلة مختلفة، أمّا الوسائد فتوضع داخل أثواب من القماش السميك الخشن مغطّاة بالتطريز الملوّن.

الظبيّة: هي كيس صغير من جلد الغزال الطري النظيف، تُخاط بخيوط مُعدّة من أمعاء الحيوان الدقيقة ويترك الجانب الأعلى مفتوحًا بعد أن يلفّ على أطراف هذه الفتحة خيط من (المصران) المأخوذ من أمعاء الحيوان ليشدّ ويغلق الفتحة بعد وضع (حبّ القهوة- البنّ) بها، ثم تعلّق في عمود البيت بجانب الساحة التي تفصل بين



لدى سكان المنطقة، بعد مزج المنقوع ببعض المواد الطبيعية التي تعمل على تليين وحفظ الجلد قوياً لمدة طويلة، ثم يُخاط الجلد من جميع الجهات باستثناء الرقبة التي تُترك مفتوحة لدخول الماء حتى امتلاء القرية، ثم تربط القرية. وتُحمل القرية على ظهور الحيوانات بشكل متعادل من الجانبين، ويمكن حمل القرية الصغيرة على ظهر المرأة، وفي العصر الحديث تمَّ استبدال هذه القرب (بالروايا) مفردها (راوية) تصنع من الكاوتشوك الرقيق.

السعين: هو جلد ماعز صغير يُخاط من جميع جوانبه ماعدا الرقبة، ويُستخدم كالقرية لنقل الماء القليل أو حفظه للاستخدام المحلي المؤقت أو لنقله مع المسافرين.

الجاجد: هو جلد خروف بصوفه، ينظف من الداخل ويملح ثم يُنشر بالشمس حتى يجف تماماً مع المحافظة على طراوته، ويُستخدم كبساط للجلوس، كما أنّ بعض هذه الجلود المحتفظه باصوافها تُستخدم كبطانة للفرو، لكن من يقوم بعملها هو الفرواتي صانع الفراء المختص مع أنّ المرأة البدوية هي من تقوم بصناعة الجاعد.

اللجام والسرّج: تقوم المرأة البدوية بتصنيع الهدب من الخيوط البيضاء السميقة بعد نفشها لتزيين أطراف اللجام والسرّج على السواء، وقد تكوّن هذه الهدب بألوان جميلة مختلفة.

المرو: هو جلد ماعز صغيرة أو جلد جدي يجهز بتنظيفه من الشعر، ويدبغ ويستخدم لحفظ السمن البلدي بكميات قليلة تحتاجها العائلة

لوقت محدود، أما ما يُحفظ به السمن البلدي المعدّ لأوقات الشتاء، أو يحفظ لمدة طويلة، فتسمى (المدهنه) أي المعدة لحفظ الدهن، وهذه التسمية يطلقونها على السمن البلدي، وهناك (المزبد) الجلد الذي يشبه المرو لكنه أكبر حجماً ويخصّص لحفظ الزبدة قبل تدويها وتحويلها إلى سمن بلدي.

الركوة: وهو جلد الخصّ، جلد يخصّص لخصّ الحليب الرائب لاستخراج الزبدة، ويجهز كما تجهز الجلود السابقة، وتقوم المرأة بعملية الخصّ إذ تحمل الجلد المملوء بالحليب الرائب على (الركابة) وهي مصنوعة من ثلاثة أعمدة توصل رؤوسها مع بعضها بحبل سميك شديد، وتفتح أرجلها الثلاث لتقف عليها، وتقوم المرأة بنفخ الجلد ليمتلئ تماماً، ثم تقوم بدفعه للأمام والخلف لمدة ساعة أو أكثر حتى تتكوّن الزبدة في الداخل بشكل متناثر، تجمعها المرأة وتعصرها لتخليصها من اللبن، وتوضع بعد ذلك في (المزبد) ■

*أخذت المعلومات الواردة في هذا البحث من خلال مسح ميداني قام به الباحث خلال عامي 2007، 2008 في بادية الجنوب، باستثناء صورة الظبية والخرج (وقد اخذها الباحث من مجلة الفنون الشعبية الأردنية العدد الثالث 1976).

*ملحوظه: قد تختلف الأسماء بين منطقة وأخرى لفظاً وكتابة نظراً لاتساع البادية الأردنية واختلاف لهجة القبائل.